

مفهوم الثورة الزراعية عند باحثي عصور ما قبل التاريخ - نظرية كوردين تشايلد نموذجاً (دراسة تحليلية)

أ.م.د. حسين يوسف حازم
جامعة الموصل - كلية الآثار

الملخص

شكلت الثورة الزراعية أو ما اصطلح على تسميته (بالانقلاب الاقتصادي) الذي بزغ وانبثق في مطلع العصر الحجري الحديث في الألف الثامن قبل الميلاد حيث يعد احد اهم الانعطافات البارزة في حياة الانسان والبشرية بوجه عام مشكلاً مرحلة هامة من مراحل تطورها ومرتكزاتها الاساسية كقاعدة للانطلاق نحو التطور والتغيير الجذري الشامل لجوانب الحياة والجماعات البشرية قادت الى بناء الحياة والمجتمع المتطور وتقدم المظاهر والجوانب الحضارية التي القت بظلالها على بناء وتطور المجتمعات اللاحقة والممتدة الى العصور التاريخية وقيام المجتمعات والحضارات المتمدنة وشكلت هذه الثورة أو الانقلاب المرتكز والقاعدة الاساس لها وكونت نطاق ومحور الدراسات والابحاث العلمية المتخصصة للعديد من الباحثين والمختصين الذين شغلوا حيزاً كبيراً في ابحاثهم ودراساتهم حول هذه الثورة أو الانقلاب لما تمثله من اهمية لتلك البحوث والدراسات التي بنيت عليها نظريات قامت عليها بالدراسة والتحليل والاستنباط والكشف الأثري والبحثي لمناطق حدوثها على أسس ومفاهيم قامت عليها والعناصر الرئيسية التي ساهمت في احداثها والتأثيرات المولدة لها كالعامل الجغرافي، البيئي، المناخي، الاقتصادي والجهود الانساني . ومن هذه النظريات وأبرزها نظرية (كوردين تشايلد) التي تناولت هذه الثورة ودراستها والبحث في جوانبها وعوامل قيامها واهم المناطق الرئيسية لها التي شهدت انبثاقها وظهورها والمعايير الرئيسية لها والتي شغلت حيزاً واسعاً وكبيراً من بين النظريات التي تناولت هذه الثورة وتوافق مقوماتها والمعايير والمعطيات التي قدمتها مع الحقائق العلمية والميدانية لهذه الثورة ومناطق حدوثها وجهود صاحبها (كوردين تشايلد) الذي اول من اطلق مصطلح الثورة الزراعية أو الانقلاب الاقتصادي على مرحلة العصر الحجري الحديث ونشاطاته وجهوده واسهاماته العلمية والبحثية والاثارية الذي مثل حيز ومجال دراساته وابحاثه في هذا الجانب من فترات عصور ما قبل التاريخ.

الكلمات المفتاحية: الثورة الزراعية، العصر الحجري الحديث، كوردين تشايلد، التغيير الجذري الشامل.



The concept of the agricultural revolution for prehistoric researchers– Cordon Child theory as a model (analytical study)

Hussein Y. Hazim

University of Mosul- College of Archaeology

Abstract

It was the agricultural revolution or what was termed the (agricultural coup) that arose and emerged at the beginning of the Neolithic period in the eighth millennium B.C. one of the most important turning points in human life and human life in general and it constituted an important stage of its development and its basic foundations as a basis for the launch towards development and a comprehensive radical change of aspects of life and human groups, it led to the building of life and a developed society and the progress of the manifestations and aspects of civilization that cast a shadow on the building and development of subsequent societies extending into historical eras and the rise of civilized societies and civilizations that formed this revolution or the anchored coup and the basis for it the scope and focus of specialized scientific studies and research has been formed for many researchers and specialists and theories on which the study, analysis, deduction, archaeological and research detection of the areas where this revolution occurred was formed on the basis and concepts on which the main elements that contributed to its events and the effects generated by it such as the geographic al, environmental, climatic, economic and human effort. Among these theories, the most prominent of which is the theory of (Cordon Child) that dealt with this revolution ,its study and research in its aspects ,the factors of its establishment ,and the main areas that witnessed its emergence and emergence and its main criteria which formed a wide and large space among the theories that dealt with this revolution and the compatibility of its component ,standards and data provided with the scientific and field facts of this revolution, its areas of occurrence and the efforts of its owner (Cordon Child) who was the first to launch the term agriculture revolution or economic coup in the Neolithic stage, its activities ,efforts and contributions, scientific, research and archaeological .which represented the space and scope of his research in this aspects of the periods of prehistoric times.

Keywords: Agricultural Revolution, Neolithic, Cordon Child, Total Radical Change.

المقدمة

تعد الثورة الزراعية أو ما اصطلح على تسميته بالانقلاب الاقتصادي الذي حدث في مطلع العصر الحجري الحديث أحد أهم المراحل العامة والكبيرة في حياة البشرية ، إذ أنها أدت إلى تغير شامل وجذري لها ونقلها نوعياً إلى بداية عصر جديد شكل الانعطاف الأولى والرئيسة لولادة الأنجازات والتحديات التي أسهمت في وضع الأسس واللبنات الأولى لمظاهر التمدن والتحضر والتطور وبناء المجتمعات الانسانية العصرية. وقد شكلت هذه الثورة محور دراسات وابحاث الباحثين والمختصين بفترات عصور ما قبل التاريخ الذي قاموا بطرح وتقديم آراء وافكار ضمن نظريات تحليلية استندت إلى مقومات ومرتكزات محورية كالموقع الجغرافي والبيئة والمناخ والجانب الاقتصادي المتمثل بشكل اساس في الزراعة وتدجين الحيوانات والمهارات البشرية والتقنية ونتائج التنقيبات الأثرية المستندة إلى اللقى والمخلفات الأثرية التي تم من خلالها طرح ووضع تفسيرات وآراء وتطورات أركزت عليها تلك النظريات. وقد حاول أولئك الباحثين طرح وجهات نظرهم من خلال تلك النظريات التي تشابهت واتفقت في جوانب وتباينت في جوانب اخرى محددة. وقد ارتأينا التركيز في البحث على نظرية (كوردن تشايلد) من بين تلك النظريات والتي يكمن من خلالها أهمية البحث لاعتبارات عدة منها أنها تمثل أقدم وأول نظرية تناولت مفهوم الثورة الزراعية بشكل واضح من جوانب ورؤى واقعية ومنطقية وقد شكل العامل البيئي والمناخي المرتكزات والعناصر الرئيسة لها والتي شهدتها بشكل اساسي منطقة الشرق الأدنى وشمال افريقيا التي يعتقد انها مثلت المناطق الأولى التي شهدت الانطلاقة الحقيقية للثورة الزراعية في بدايات العصر الحجري الحديث من قبل العديد من الباحثين بوجه عام. إضافة إلى ذلك توافق النظرية مع العديد من المعطيات والحقائق والادلة العلمية والآثارية الممثلة على ارض الواقع وفق نتائج الابحاث والتنقيبات الأثرية في المناطق التي حدثت فيها الثورة الزراعية وتناولتها النظرية. كذلك الحضور الواسع للنظرية ولصاحبها كوردن تشايلد والذي يعتبر أول من أطلق مصطلح الثورة الزراعية على العصر الحجري الحديث والتصق اسمه بهذا المصطلح ومفهومه. إضافة إلى نشاطاته واسهاماته العلمية والبحثية والآثارية وجهوده المنظرية في هذا الجانب الهام من عصور ما قبل التاريخ المتمثل بالعصر الحجري الحديث الذي مثل مجال دراساته البحثية والآثارية.

تضمن البحث ثلاث محاور مثلت عناصره الرئيسة. تناول المبحث الأول خلفية العصر الحجري الحديث وخصائصه العامة التي تميز بها خلال فترة عصور ما قبل التاريخ. فيما تناول المبحث الثاني أبرز النظريات التي تناولت مفهوم الثورة الزراعية لباحثي عصور ما قبل التاريخ



والمتمثلة بنظريات (كوردين تشايلد)، (بيركيت)، (بريدود) و(كوفان) والتي تم استعراض عناصرها وجوانبها والآراء التي بنيت عليها والنتائج التي توصلت اليها وفق أدلة ومعطيات علمية وبحثية واثارية. وتناول المبحث الثالث نظرية (كوردين تشايلد) التي مثلت موضوع البحث ومحوره الرئيس، اذ تناول المبحث الأسس والمبادئ التي ارتكزت عليها النظرية واهم النقاط الجوهرية التي تناولتها وتطابقها مع ادلة الابحاث والتنقيبات الاثرية التي حاول صاحبها كوردين تشايلد دراستها وتحليلها وفق المنهج المقارن للثورات الحديثة كالثورة الصناعية في اوربا وتقسيمه للمجتمعات البدائية وفق المفهوم الذي طرحه في تفسير مفهوم الثورة الزراعية التي عد أنتاج الغذاء حداً فاصلاً بينها وبين عصور الهمجية والبربرية التي سادت العالم القديم قبل هذه الثورة التي مثلت محور تطوراته للمجتمعات والحضارات البشرية والإنسانية.

المبحث الاول

خلفية العصر الحجري الحديث وخصائصه:

يعرف العصر الحجري الحديث "بالثورة الانتاجية" في تاريخ البشرية وهو المرحلة الاقتصادية الهامة التي تبين نهاية مرحلة حياة الصيد وبداية الاقتصاد الزراعي^(١). وقد استخدم هذا المصطلح لوصف تطور الزراعة وتربية الحيوانات وبداية حياة القرى المستقرة والدائمة والتي ظهرت بحدود الالف الثامن قبل الميلاد^(٢). اذ اصبح الانسان لأول مرة منتجاً للطعام بعد ان كان مستهلكاً له ومن ثم تعتبر هذه الخطوة أول ثورة كبرى في حياة الانسان. إذ نقلته من حياة التجوال والترحال وراء فريسة يقتنصها أو حيوان يتبع أثره أو بحثاً عن ثمار يلتقطها إلى حياة الاستقرار في قرى صغيرة بجانب قطعة أرض أختار لها نباتاً معيناً يضع فيها بذوره بنفسه ويظل يرعاه حتى تثمر أو حياة بدوية منظمة يرعى فيها حيواناً معيناً اختاره من المملكة الحيوانية وروضه واستئسنه^(٣). اذ اعتمد سكان العصر الحجري القديم في حياتهم ولأجل ضمان بقائهم بشكل دائم على الصيد والجمع وسكنوا في مناطق مختلفة بأعداد ليست بالكثيرة ولم يكونوا بحاجة إلى التطور أو أقامه وتنظيم عادات أو علاقات اجتماعية بسبب انعزالهم كأفراد كل على حدا ولم يربطهم شيء مشترك ولم يكن لديهم ترابط أو تداخل اجتماعي وقد حتمت مطاردتهم للحيوانات أو ممارستهم للصيد ان ينتقلوا من مكان إلى آخر ويحتمل ان تلك العمليات قد قادتهم إلى تعلم كيفية صنع أدوات صغيرة قليلة وبسيطة. وقد كان كيانهم ذات طابع بري غير ثابت^(٤). وكان الطابع العائلي داخل الكيان الواحد يغلب عليه الانشغال بقضية رئيسة واحدة وهي توفير القوت والغذاء، اذ يحتمل قيام الذكور البالغين بعمليات الصيد، أما الأناث والأطفال فأنهم كانوا يقومون بالبحث عن الثمار والنباتات مستخدمين في تلك العمليات الأدوات الحجرية البسيطة المتوفرة في البيئة المحلية والتي قام بصناعتها عن طريق الضرب والشذب وقطع الحجر المناسب واستخراج اللب^(٥).

يُعد التحول من الصيد والجمع إلى إنتاج الغذاء والاستقرار في قرى زراعية ثابتة أحد اهم المعالم البشرية الهامة، اذ حصل تغيير في طرق تفاعل الإنسان مع بيئته. ويرى البعض من الباحثون المختصون أن ثورة العصر الحجري الحديث بالإمكان تتبعها وتلمسها من خلال التنوع الاقتصادي، الديموغرافي والمظاهر الاجتماعية، اذ عبرت الثورة الزراعية عن فترة العصر الحجري الحديث واعطت فهماً وصورة واضحة عن النظام الاجتماعي الجديد الذي تمثل بها^(٦). وقد مثلت الزراعة العنصر الرئيسي والاساس للعصر الحجر الحديث، اذ شكلت الطريق والوسيلة الرئيسية للحصول على الغذاء الذي تمثل بالنباتات والحيوانات المدجنة، وقد قاد استخدام الزراعة

إلى سلسلة تغييرات كبيرة وطويلة المدى في تكوين وتنظيم المجتمعات التي مارستها وتبنتها في حياتها المعيشية وظهور علاقات جديدة مع البيئة المحيطة بها، إذ كون المزارعون في تلك المجتمعات محيط أو بيئة ووسط اجتماعي تناسب وتلائم مع احتياجاتهم الاقتصادية والاجتماعية. ومع الانتقال والتحول إلى الزراعة بدأ الإنسان يسيطر بشكل حقيقي على بيئته^(٧). فبينما عاش الصيادون وجمعوا القوت بعيداً عن مناطقهم فأنهم قد استغلوا بوجه عام مصادر متنوعة من مناطقهم الواسعة. وقد شمل التدجين تغييرات لخواص او مميزات طبيعية للنبات والحيوان. وتشمل عمليات التدجين خواص ومميزات متأصلة لكل الفصائل النباتية والحيوانية وقوة وشدة وطبيعة المعالجة البارعة للإنسان^(٨). وقد تطور إنتاج الغذاء بشكل كبير وتوسع بسبب نمو السكان بعد أن تقلصت عمليات الصيد والجمع تدريجياً وقد شكل إنتاج الغذاء قاعدة اقتصادية هامة في طريق التطور والتمدن^(٩).

قادت الزراعة إلى سلسلة تطورات ومنجزات هامة كالتدجين، ادارة ومتابعة زراعة النباتات وتربية الحيوانات والتي أدت إلى تغييرات اجتماعية عميقة، كما شكلت بشكل واضح أسس تطور الحضارات القديمة في هذه الفترة الهامة من تاريخ البشرية^(١٠). كما قادت إلى احداث تغييرات كبيرة في شكل حياة الجماعات البشرية الذين مارسوها إذ أستقر الصيادون الذين مارسوا عمليات الصيد واصبحوا مزارعين سكنوا في بيوت قاموا ببنائها وتشيدها بشكل متجاور في قرى زراعية، قادت بفضلها إلى تكوين مجتمع قروي من خلال الحياة القروية التي أنبتت عنها والتي تميزت في العالم القديم أنذاك. وقد شجعت الحياة المستقرة على ظهور مادي ملموس. كما شكلت الابتكارات التي حصلت من خلالها اهمية أساسية في تاريخ الإنسان^(١١).

شهدت ثورة العصر الحجري الحديث عدداً من التطورات التي تمثلت بتطوير طرق الحصول على الغذاء والمتمثلة بتدجين الحيوانات إلى جانب تدجين الحيوانات التي كانت سابقاً بريّة. وكان أول هذه الحيوانات الكلب الذي بدأ بتدجينه والتعرف على مميزاته منذ العصر الحجري القديم كما قاموا بتدجين الحيوانات ذات الفائدة والنفع الاقتصادي التي استفادوا من منتجاتها الغذائية والحياتية كالخنازير، الأغنام، الماعز والماشية. وقد تحكّم الناس في مناطقهم على كميات الغذاء التي أنتجوها ولم يتجولوا طويلاً بحثاً عن صيد إضافي وقد أدى ذلك إلى تأمين حصولهم على غذاء دائمٍ والذي له أثراً كبيراً في تطور ونمو السكان وزيادة صحتهم وبنيتهم^(١٢). كما أدت هذه الثورة إلى توسيع وانتشار السكان وزيادة مساحة المناطق المسكونة التي توافرت فيها الظروف الملائمة لسكنى الإنسان. فعلى سبيل المثال شهدت جزر المحيط الهادئ قيام مجتمعات بشرية فيها خلال فترة العصر الحجري الحديث وحصول كثافة سكانية فيها

تقدر بنحو (٣٠) شخص أو أكثر لكل ميل مربع. كما عاش السكان المزارعون في هذا العصر سوياً مجتمعين في قرى دائمة شهدت قيام اقتصاد زراعي نابض بالحياة كما ذكرنا أنفاً. فالاقتصاد الزراعي الذي نشأ نتيجة التطورات التي حصلت في هذه الفترة حتم عليهم إنتاج محصول زراعي يلبي احتياجاتهم من الغذاء لضمان عيشهم وديمومة استمرارهم وبالتالي قاد ذلك إلى الانتاج المنظم إلى حصول تطور هام وكبير ساهم في تطور حياتهم الاقتصادية والاجتماعية^(١٣).

المبحث الثاني

أبرز نظريات مفهوم الثورة الزراعية لباحثي عصور ما قبل التاريخ

شكل مفهوم الثورة الزراعية التي شهدها العصر الحجري الحديث أهمية وبعداً كبيراً وهاماً عند باحثي عصور ما قبل التاريخ وطرحوا نظريات استندت على أسس ومبادئ محددة انطلقوا منها في تفسيرهم لذلك المفهوم وحسب المرتكزات التي حددوا من خلالها هذا المفهوم بنوا نظرياتهم التي تشابهوا في جوانب معينة واختلفوا في جوانب أخرى منها. فمنهم من استند إلى الزراعة وعدها الأساس والمنطلق الرئيس لحدوث هذه الثورة كمفهوم للعصر الحجري الحديث وهذا ما اتفق عليه غالبية الباحثين في هذا المجال على أن اقتصاد العصر الحجري الحديث كانت دعامة الرئيسة الزراعة المختلطة القائمة على تربية الحيوانات إلى جانب الزراعة. غير أن الأهمية النسبية لهذا الاقتصاد قد اختلفت من بلد لآخر ومن حضارة إلى أخرى^(١٤). وتعددت التفسيرات حول اسباب الزراعة واستقادت بعض النظريات من معطيات علمية وفرها البحث الأثاري المباشر بينما سيطر على قسم منها الطابع الفرضي والنظري الذي لا يستند إلى دليل مادي مقنع وتباينت مواقف الدارسين فركز بعضهم على دور البيئة والمناخ التي قادت إلى حصول الزراعة بسبب التغيير الذي طرأ عليهما خلال فترة الألف العاشر قبل الميلاد، فالبيئة كان لها الفضل الأول من توفير المحاصيل الزراعية التي تغذى عليهما الانسان والحيوانات التي دجنها فيما بعد. وحسب أدلة الابحاث العلمية والاثريه حصل في نهاية فترة البلايستوسين وبداية الهولوسين^(١٥) جفاف مناخي هدد وجود النباتات والحيوانات البرية التي عاشت على الأمطار وكان على الانسان المحافظة عليها للتغلب على الظروف الصعبة والقاسية التي يمر بها فاهتدى إلى الزراعة والتدجين ليؤمن غذائه ويضمن مردوداً اقتصادياً كافياً ويقلل من الاعتماد على الطبيعة ويمثل اصحاب هذا الرأي ما يطلق عليه نظرية التحدي والرد التي قال بها المؤرخ الشهير (ارنولد توينبي) : (فقد أتى التحدي بسبب شح في الخيرات وكان الرد عليه هو ايجاد وسائل انتاج اضافية تعوض ذلك النقص)^(١٥). فيما عزا اخرون أسباباً أخرى لحدوث الثورة الزراعية وانطلقوا

من تلك الاسباب في تحديد مفهوم الثورة الزراعية ومنها الجانب السكاني الديمغرافي والمستوى التقني "العالي" الذي وصله انسان العصر الحجري الحديث والسوية الاجتماعية والثقافية المتطورة التي وصل اليها^(١٦).

من ابرز النظريات التي تناولت مفهوم الثورة الزراعية وطرحت آرائها وافكارها نظريات: (كوردين تشايلد)، (بيركيت)، (بريدوود)، (كوفان) ونظريات ثانوية أخرى. سنحاول في هذا البحث استعراض تلك النظريات واهم المرتكزات التي استندت عليها. فيما سنفرد في المبحث الثالث استعراض وتفاصيل نظرية (كوردين تشايلد) باعتبارها الموضوع الاساس للبحث.

أولاً- نظرية بيركيت :

قام الباحث العالمي المختص بعصور ما قبل التاريخ (بيركيت) بطرح نظرية سميت باسمه تناولت تفسير وبيان حدوث الثورة الزراعية واسبابها مستنداً إلى الظروف والاحوال المناخية والبيئية التي عدها السبب الأساس للاهتداء إلى الزراعة التي شكلت المنطلق المباشر والرئيس للثورة الزراعية في منطقة آسيا بوجه خاص. اذ يشير إلى ان الزراعة وتربية الحيوانات قد نشأت في وقت واحد في منطقة آسيا التي انتشرت منها شرقاً إلى الصين وجنوباً إلى الهند وغرباً إلى جنوب غربي آسيا^(١٧). وتبين قيام بعض الجماعات البشرية بعمليات بدائية في زراعة النباتات وقيام جماعات أخرى بتدجين بعض الحيوانات أي ان الزراعة والرعي التي قامت بها تلك الجماعات البشرية سارتا حسب هذه النظرية جنباً إلى جنب فيما يسمى بـ(الزراعة المختلطة) وان هذه الزراعة كانت تمارس في زمن مبكر جداً في العصر الحجري الحديث^(١٨). وتشير دراسات الابحاث الأثرية وما طرحت نظرية بيركيت في هذا المجال الى أن منطقة آسيا كانت احد اهم المناطق والمراكز الرئيسية والابتدائية التي حصل فيها تدجين النباتات في فترة زمنية متقاربة، اذ ان منطقة الشرق الأدنى القديم وشرق آسيا تعدان بوجه خاص أقدم تلك المناطق والمراكز إلى جانب مناطق (شهارين) في افريقيا، امريكا الشمالية و امريكا الجنوبية التي شهدت تدجين الانواع المبكرة للنباتات والحيوانات بوجه عام وفي مقدمتها القمح، الشعير، البازلاء، العدس، الخنازير، الماعز، الأعدام والماشية التي أنحصرت تدجينها في العالم القديم بوجه عام في المنطقة الممتدة بين شرقي البحر المتوسط وافغانستان بعد فترة الالف العاشر قبل الميلاد والتي دجنت فيها بعد ذلك العديد من النباتات في فترات زمنية لاحقة كحنطة الخبز، الجويدار، التين، الزيتون، العنب والكتان اضافة إلى عدد من الحيوانات المدجنة في هذه الفترات بشكل متلازم^(١٩).

وبحسب النظرية ان المنطقة التي يشغلها البحر الاسود وبحر قزوين وبحيرة بلكاش مناطق سهلة كانت تتمتع بكميات وافرة من الأمطار وكان فيها بحر داخلي كبير أثناء فترة

عصر البلايستوسين الذي شهد في نهايته حدوث جفاف بعد تقلص المساحات المائية الداخلية فيه نتيجة قلة ونقص كمية الأمطار الساقطة في المنطقة والتي أصبحت رعوية أو شبه رعوية وهذا ما اضطر الجماعات البشرية القاطنة فيها إلى الهجرة الكبيرة والواسعة نتيجة ذلك إلى أوربا وشرق آسيا^(٢٠). ومن خلال تتبع الفترات الزمنية المبكرة لأقدم المحاصيل الزراعية والحيوانات المدجنة في منطقة آسيا كدليل على الهجرة إلى شرق آسيا يلاحظ بأن مناطق شمالي وجنوبي الصين والواقعة جغرافياً في منطقة شرق آسيا قد شهدت اقدم حالات التدجين فيها. اذ تشير أدلة الابحاث الأثرية الى ان الدخن عد اول المحاصيل المدجنة والخنازير أولى الحيوانات التي تم تدجينها قد قامت في القرى المبكرة في شمال الصين التي يعود تاريخها إلى حوالي (٦٠٠٠) ق.م . كما تشير تلك الأدلة إلا ان الرز قد تمت زراعته بشكل رئيسي في جنوب الصين، اذ يحتمل قيام زراعته بشكل مبكر خلال الالفين الثامن والتاسع قبل الميلاد وفي جنوب شرق آسيا في حوالي (٤٠٠٠) ق.م^(٢١). وتشير النظرية الا أن الجماعات التي لم تهجر وبقت في المنطقة ألتجأت إلى الواحات المتناثرة التي عدت في نظر بيركيت أفضل المناطق لنشأة وقيام الزراعة، اذ ان سير المناخ نحو الجفاف أضطر الانسان إلى اللجوء نحو سكنى الاماكن التي فيها عيون ومجاري مائية وأبار والتي لم يقتصر سكنى الانسان حولها فقط بل الحيوانات ايضاً. وهكذا أضطر الانسان والحيوان أن يعيشا معاً في منطقة واحدة حول موارد المياه في الواحات التي كان بالامكان نشوء وقيام زراعة فيها^(٢٢). وعلى هذا الأساس فان الزراعة التي حصلت في المنطقة نتيجة الظروف البيئية والمناخية الأنفة الذكر عدت السبب الرئيس والمباشر لقيام الثورة الزراعية فيها حسب هذه النظرية.

ثانياً - نظرية بريدود :

أنطلق الباحث والمنقب الاثاري الامريكي المختص بعصور ما قبل التاريخ (روبرت بريدود) من تطبيق منهج علم الأثار الجديد الذي يعتمد المنهج الاستدلالي الذي يقوم بطرح نظريات وفرضيات حول الحضارة القديمة ومحاولة التحقق من هذه الفرضيات من خلال التنقيب والبحث الميداني عكس المنهج الاستقرائي الذي يطبقه علم الاثار التقليدي الذي يركز على استنتاج المعلومات كما تظهر أثناء البحث الأثري غير الموجه بفكرة أو نظرية مسبقة^(٢٣). وقد أستندت نظريته على نتائج التنقيبات الأثرية التي من خلالها كون نظريته و خلال عمله في المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو و تحت إشرافه وترأسه للتنقيبات في عدد من مناطق الشرق الأدنى القديم وبشكل رئيس العراق ومناطق اخرى فيها^(٢٤). وبحسب النظرية ان الزراعة كانت قد

شكلت العامل الاساس لحدوث وقيام الثورة الزراعية كما هو الحال في النظريات التي حددت مفهوم الثورة الزراعية بالاستناد اليها باعتبارها المحرك والمنطلق الرئيس لها مع تباين خصوصيتها في المناطق التي شهدت ظهورها وقيام الثورة الزراعية فيها وطبيعة الظروف التي شهدتها وبشكل رئيس البيئية والمناخية والاجتماعية المسببة لها والمنبثقة عنها.

افترض بريودود أن المنطقة ذات البيئة الطبيعية التي تتوافر فيها مجموعة متنوعة من النباتات والحيوانات البرية تكون قابلة للزراعة وتدجين الحيوانات وهذا ما ينطبق تماماً على مناطق الشرق الأدنى القديم، إذ ان غالبية المواقع المبكرة تتركز فيها والتي أطلق عليها التسمية (Natural Habitat Zone) أو بأختصار (N.H.Z) أي منطقة الاستيطان الطبيعية التي تضم مجموعة معينة من النباتات والحيوانات البرية القابلة للتدجين^(٢٥). وقد جاءت افتراضات بريودود أثر اكتشافاته في موقع (اريجا) في فلسطين في الخمسينات من القرن العشرين. وقد أختار عدداً من المواقع في مناطق الموطن الطبيعي للحبوب البرية في سفوح جبال زاكروس في شمال العراق لتكوين أسس وعناصر نظريته بمشاركة بعثة أثرية عمل فيها لأول مرة مختصون في البيئة القديمة وكان بذلك أول من أدخل الدراسات البالنتولوجية النباتية والحيوانية في علم الاثار^(٢٦).

عثرت البعثة التي ترأسها (بريدود) في منطقة (جرمو) في شمال العراق في الاربعينات من القرن العشرين على حبوب مدجنة تعود إلى مطلع الالف السابع قبل الميلاد، إذ تشير الادلة الأثرية المكتشفة ومنها بقايا الحبوب المتفحمة إلى قيام سكان القرية بزراعة أحد أنواع القمح الذي أنتشر نموه في الطبيعة وظهرت سنابله بصفين إلى ثلاثة صفوف عرف بأسم (Einkorn)^(٢٧). وبذلك تأكدت فرضية الموطن الطبيعي (N.H.Z)^(٢٨) التي انطلق منها ووجد دليلها المادي في هذه القرية التي تتمتع بسقوط مطري كافي للزراعة. كما قام بريودود وزملاؤه المنقبون الاثاريون بمسوحات اخرى في مناطق غربي ايران ومسوحات في جنوب تركيا بالتعاون مع جامعة أسطنبول، اذ نقبوا في موقع (جاينونو) وعثروا على مستوطنة فيها أدلة على زراعة الحبوب من المحتمل أنها تعود إلى (٧٥٠٠) ق. م^(٢٩).

وبحسب نظرية بريودود فان مفهوم الثورة الزراعية قد تحدد من خلال الزراعة التي نشأت وحدت لسببين أساسين: الأول: البيئة التي ساهمت في توافر الحبوب وبشكل رئيس القمح والشعير بشكل طبيعي والثاني: الانسان الذي توصل عبر الزمن إلى مستوى تقني أفضل ساعده على تنظيم الاستفاداة من موارد بيئته الطبيعية والانتقال من التقاط الحبوب البرية إلى زراعتها^(٣٠).

ثالثاً - نظرية كوفان:

تستند نظرية عالم الاثار واستاذ عصور ما قبل التاريخ الفرنسي (جاك كوفان) في تفسيرها وتعبيرها لمفهوم الثورة الزراعية كالنظريات السابقة لها على قيام وحدوث الزراعة التي تعد المرتكز والعنصر الاساسي لمفهوم الثورة الزراعية التي أنبثقت منها جميع التطورات الحضارية والمادية للمجتمعات البشرية خلال فترة العصر الحجري. وينطلق (كوفان) في منهج مغاير لـ (بريدود) فهو لا يطرح نظريات أو اقتراحات مسبقة حول الزراعة ويرفض القبول بالنظرية الجاهزة كما يفعل أنصار علم الاثار الجديد وإنما يترك المكتشفات المادية الملموسة تتحدث عن نفسها أن يتبع المنهج الأستقرائي وهو يحاول تفحص كل النظريات المتعلقة بنشوء الزراعة من خلال المكتشفات الأثرية انطلاقاً من أن نتائج البحث العلمي المدعم بالأدلة الموضوعية هي مقياس نجاح الفرضية او فشلها^(٣١).

أنطلق كوفان من نتائج تنقيباته الأثرية في موقع (مريبط) في حوض الفرات السوري الأوسط وطرح بصفته عالم أثار وفيلسوفاً فرضيته النفسانية- الثقافية حول ظاهرة "النولته" أي (الثورة الزراعية) متناولاً زمان ومكان والية حدوثها وتتابع عناصرها ليخلص إلى الخوض عميقاً في أسبابها ودوافعها أستناداً إلى كم ضخ من المكتشفات الأثرية التي جاءت من منطقة الشرق الأدنى القديم ومن سورية بوجه خاص كالأواني الفخارية والأدوات والأسلحة الحجرية والفنون ومعطيات البيئة بما فيها الدلائل النباتية والحيوانية التي تعود إلى العصر الحجري الحديث^(٣٢). وقد تبني في فرضيته الأسباب والعوامل الاجتماعية، الفكرية والنفسية وعده مقدمة قادت إلى التحولات الاقتصادية التي شكلت عملية "النولته"^(٣٣).

المبحث الثالث

نظرية كوردين تشايلد (الأسس والمبادئ):

تعد نظرية الباحث الاسترالي المختص في عصور ما قبل التاريخ ومدير معهد الاثار في جامعة لندن كوردين تشايلد احد أبرز النظريات التي تناولت مفهوم الثورة الزراعية خلال العصر الحجري الحديث. وقد أستندت هذه النظرية إلى عدة مبادئ واسس بنت افتراضاتها ونتائجها. ويرى تشايلد ان كلمة الثورة لا يجب أن تأخذ أو تفهم كتعبير يشير إلى وجود ظروف قاهرة أو قياسية مفاجئة، اذ انها أستخدمت وعبر عنها كبداية الذروة لحصول تغيير تدريجي في التكوين والتنظيم الاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات التي حدثت فيها أو تزامنت مع الزيادة التي كانت ظاهرة في الخط البياني للسكان حسب الاحصائيات البيانية التي تم استنتاجها وافتراضها

وفق الأدلة الأثرية ومقارنتها بالخط الذي يمكن ملاحظته في زمن الثورة الصناعية في أوروبا. ومع ذلك لا يمكن اثباتها أحصائياً بالمقارنة بالتغيرات التي حدثت في مرحلتين مبكرتين في التاريخ الديموغرافي لبريطانيا ومناطق أخرى على سبيل المثال. وسواء كانت أقل حدة أو متانة فإنها تشير لتغيرات ثورية متساوية على حد سواء في الاقتصاد أي أن العامل المشترك بينهما هو (الاقتصاد). وقد اعتبرت الثورتان رمزاً للتحويلات بين مرحلتين في التطور الاقتصادي والاجتماعي^(٣٤).

لاحظ تشايلد العلاقة بين بداية الزراعة وتطور المجتمعات المعقدة، إذ أن بداية الزراعة التي أطلق عليها تسمية أو مصطلح (ثورة العصر الحجري الحديث) كانت ضرورية لوضع شرط مسبق أساسي لما سماه ثورة التمدن. فالتغيرات الاجتماعية، السياسية والاقتصادية غالباً ما واكبت بداية المجتمعات المعقدة. فحسب هذه النظرية ان العلاقة القوية والعصيبة للزراعة التي أنتجت من خلال عملياتها التي جرت في العصر الحجري الحديث محاصيل كثيرة من الإنتاج الزراعي أكثر مما تم الحصول عليه من عمليتي الجمع والصيد وهذا ما أدى إلى حصول فائض في الإنتاج تم تخزينه والاحتفاظ به للاستفادة منه في المواسم التي لا يكون فيها إنتاج زراعي كافي بسبب قلة سقوط امطار كافية للزراعة أو الاستفادة منه في عمليات المقايضة للحصول على الموارد والمنتجات التي لا تتوفر أو يمكن الحصول عليهما في المنطقة والبيئة المحلية^(٣٥).

وقد أطلق تشايلد مصطلح الثورة الزراعية أو ثورة إنتاج الغذاء على العصر الحجري الحديث، إذ اعتبر هذا العصر عصر تحول جذري لحياة الانسان ومعيشته من حياة الصيد والجمع وسكن الكهوف والمواقع المكشوفة في العصرين الحجريين القديم والمتوسط إلى الحياة الزراعية وتدجين الحيوانات والاستقرار في مجتمعات قروية زراعية ثابتة. ويرى تشايلد أن ذلك التحول قد رافقه تحول فكري واجتماعي لدى الانسان نتيجة ذلك التحول والاستقرار^(٣٦). وعلى هذا الاساس والمنطلق اتخذ تشايلد من القدرة على انتاج الطعام حداً فاصلاً بين العصرين الحجريين القديم والمتوسط وبين العصر الحجري الحديث معتمداً في ذلك كما اشرنا أنفاً على الزراعة وتربية الحيوانات اللذان مثلاً الثورة الاقتصادية الأولى في حياة الانسان والتي تنتج عنها زيادة عدد السكان^(٣٧).

لم يذهب تشايلد في تقسيمه لذكر حضارات حجرية قديمة او حديثة لانه لم يعتمد في تقسيمه لمراحل التطور الاجتماعي والاقتصادي على أسس تكنولوجية بل اعتمد على أسس اقتصادية كانتاج الطعام الذي يمثل بداية مرحلة هامة في التطور الذي أخذ منه اساساً لتعريف انتقال الانسان من مرحلة الوحشية أو البدائية إلى مرحلة البربرية في العصر الحجري

الحديث^(٣٨). اذ يرى تشايلد أن الخروج او الانتقال من طريقة ومرحلة الهمجية والوحشية تتمثل بحدوث ثورة اقتصادية صنعتها جهود ونشاطات القاطنون والمتشاركون في الطبيعة ومواردها الذين قاموا بأحداث هذه الثورة الاقتصادية وعملوا على تغيير واقعهم المعيشي بدلاً من أن يكونا عالة على البيئة ومواردها الطبيعية. وقد مثلت أزمة تغيير المناخ خلال فترة الالف العاشر قبل الميلاد الحادثة الرئيسة المسببة لهذه الثورة. وقد مثلت الخطوة الحاسمة والبالغة من خلال التآني والعمل الجاد من بذر الحبوب في تربة مناسبة وزراعتها من قبل الجماعات البشرية التي تحولت من جامعة للقوت إلى منتجة للغذاء الذي أدى إلى زيادة ودعم نموها وتطورها. ومثلت هذه المرحلة الخطوة الأولى في طريق الثورة الزراعية^(٣٩). اذ يرى تشايلد ان الانجازات العديدة التي تحققت من خلال الثورة الزراعية خلال العصر الحجري الحديث قد وضعت أسس التنظيم الاقتصادية للمجتمعات البشرية ووضعها في مرحلة حضارية هامة بعد ان تحررت من مرحلة الهمجية والبربرية^(٤٠).

الخاتمة

مثل البحث جانباً هاماً وحيوياً لمرحلة بالغة وكبيرة في حياة المجتمعات والحضارات الانسانية خلال فترة عصور ما قبل التاريخ الذي شهد إنعطافة هامة في طريق التحضر والتمدن والمنجزات الحضارية(*) من خلال ثورة العصر الحجري الحديث التي اصطلح على تسميتها بالثورة الزراعية التي شكلت جهود الانسان الكبيرة في الوصول والاهتداء إلى الزراعة مرحلة جديدة ومشرفة في التحول والانتقال والتطور الاقتصادي والاجتماعي والحضاري. وقد شكلت تلك الثورة حيزاً كبيراً وهاماً عند باحثي عصور ما قبل التاريخ الذين بنوا وطرحوا ارائهم وتطوراتهم في تفسير اسبابها وحدثها ونتائجها بعرضهم لها بنظريات ودراسات علمية وبحثية واثارية بمناهج اختصوا بها وفق معطيات وتصورات مثلت تلك المناهج والتي انصبت جميعها لموضوع وهدف واحد تمثل بمفهوم (الثورة الزراعية) الذي شكلت المحور الرئيسي لهم. ولعل نظرية الباحث والمختص بعصور ما قبل التاريخ كوردين تشايلد كانت الابرز والأشمل من حيث تناولها ودراستها لجوانب الموضوع من أسس ومحاور علمية وبحثية واثارية حرص صاحب النظرية على استقرارها وطرحها بأسلوب ومنهج وجد صدها واسعاً وكبيراً عند الباحثين والدارسين لهذه الثورة ومفهومها الذي لاصقه ونسب اليه خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن الذي طرح وقدم نظريته. وكانت المرجع الاساس للابحاث العلمية والاثارية التي تناولت العصر الحجري الحديث وتطوراته ومنجزاته الحضارية والمادية و ساهمت في رسم وتوضيح صورة العصر واحداثه المحورية من خلال هذه الثورة الكبيرة والهامة فكانت مساهمة علمية كبيرة وضعت الدراسات المتخصصة للعصر في منعطف ومجال متطور ومتقدم للباحثين والدارسين والمهتمين لهذا الموضوع وجوانبه الذين بحثوا ودرسوا عنه في المجال الاكاديمي والبحثي في المؤسسات والمجتمعات الاكاديمية والبحثية التي تعني بالدراسات والابحاث الاثارية والحضارية.

References

- (١) غلاب، محمد السيد- الجوهري، يسري، الجغرافيا التاريخية عصر ما قبل التاريخ وفجره، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٣٠١.
- (2) Annkiffer, B., Encyclopedic Dietbhary of Archaeology, New York, 2000, P. 194.
- (3) Swain, J.w., The Ancient world, New York, 1962 pp: 21.22.
- (4) star, C.C, A history of Ancient world, oxford 1965,p.4.
- (5) Simmons, A.H., The Neolithic Revolution in The near East, The university of Arizona, 2007.
- (6)price, T.D- Feinman, G.M., Images of the past, California, 2001, P.197.
- (7) Ibib, P. 197.
- (8) Fagan, B.M, Ancient lives, university of California 2003, P. 293.
- (9) Janick, J., Neolithic Revolution and the Discovery of Agriculture, purdue university, 2002.
- (10) The Neolithic Revolution And The Mesopotamia civizations, The university of Kansas, 2003.
- (11) Swain, op. cit., P.43.
- (12) childe, G., The urban Revolution, Liverpool university, 1950, pp: 4-5-6.
- (13) Ibid, P.4.
- (١٤) وولي، هاوكس ول، أضواء على العصر الحجري الحديث، ترجمة: يسري عبد الرزاق الجوهري، جامعة أسيوط، ص ١٠٧.
- (*) الهولوسين: يمثل العصر الاخير من الدهر الجيولوجي الثالث الذي تقع فيه العصور الجليدية المعروفة والعصور الحجرية القديمة ويعد العصر الاخير من زمن الحياة الحديثة الذي شهد تطور اللبائن واكتمال اجناسها، كما شهد الظهور الحقيقي للانسان وتكامل صفاته وتخصص اعضائه ونمو دماغه. وقد أستغرق العصر مدة تقارب المليون سنة. ينظر: الدباغ، تقي- الجادر، وليد، عصور ما قبل التاريخ، بغداد، ١٩٨٣، ص ١٧. وينظر ايضاً: كون، كارلتون، قصة الانسان، ترجمة: محمد توفيق حسين- عبد المطلب الامين، بغداد، ١٩٦٥، ص ١٤-١٥.
- (١٥) محيسن، سلطان، عصور ما قبل التاريخ، دمشق، ١٩٩٦، ص ٢٢٣.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ٢٢٣-٢٢٤.
- (١٧) غلاب- الجوهري، المصدر السابق، ص ٣١٠.
- (18) Berger, R., protsch, R., "The Domestication of plants And Animals In Europe And the near East" In: orientalia. Nora series, vol. 42 Roma, 1973, PP: 215-216.
- (19) Price- Feinman, op., cit, P.198
- وينظر ايضاً: الرويشدي، سعدي، "نظرة في علمية تدجين النبات والحيوان"، مجلة سومر، مج، ٢٩، ١٩٧٣، ص ٦.
- (٢٠) غلاب- الجوهري، المصدر السابق، ص ٣١٠.
- (21) price – Feinman, op. cit, P: 198.



- (٢٢) غلاب- الجوهري، المصدر السابق، ص ٣١١.
- (٢٣) محيسن، المصدر السابق، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.
- (٢٤) حول تنقيبات المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو في العراق. ينظر:
- Braidwood, B., The Iraq – Jarmo project: of The oriental Institute of the university of Chicago Seasons, 1954- 1955, In: sumer, Vol. 1954.
 - Braidwood ,B.- Howe, B., prehistoric Investigations In Iraq Kurdistan, Chicago, 1960.
- (25) Reed, C.A., A Review of the “Archaeological Evidence of Animal Domestication In The prehistoric near East” In: prehistoric Investigation In Iraq Kurdistan, op. cit, p. 183.
- (٢٦) محيسن، المصدر السابق، ص ٢٢٥.
- (27) Braidwood- Howe, op. cit, P.26
- وينظر ايضاً: كول، سونيا، ثورة العصر الحجري الحديث، ترجمة: تقي الدباغ- نادية سعدي الدبوني، بغداد، بغداد، ١٩٨٩، ص ٧.
- (٢٨) محيسن، المصدر السابق، ص ٢٢٥.
- (٢٩) أوتس، ديفيد وجوان، نشوء الحضارة، ترجمة: لطفي الخوري، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٢٠.
- (٣٠) محيسن، المصدر السابق، ص ٢٢٦.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
- (٣٢) كوفان، جاك، الالهوية والزراعة ثورة الرموز في العصر النيوليتي، ترجمة: موسى ديب الخوري، دمشق، ١٩٩٩، ص ٧.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ٨.
- (34) childe, the urban, op. cit, p.3.
- (35) crabtree, p.- campana, D.V., Exploring prehistory. New york, 2006, p.271.
- (٣٦) تشايلد، كوردين، التطور الاجتماعي، ترجمة: لطفي فطيم، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٦.
- See: Braidwood, R.J., “The Early village in southwestern Asia, In: Journal of near Eastern studies, vol. 32, Chicago, 1973, P.39”
- (٣٧) غلاب- الجوهري، المصدر السابق، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.
- (٣٨) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.
- (39) Childe, G, what happened in history, Great Britain, 1954, p. 48.
- (40) Ibid., p. 89.
- (*) قسم المختصون في علم الأتيماع والانتروبولوجيا في القرن العشرين المجتمعات في الفترة ما قبل الثورة الصناعية إلى رتب وحددوا ثلاث مراحل ثورية مرت بها واطلقوا على تلك المراحل تسميات تتناسب مع طبيعة كل مرحلة مرت بها تلك المجتمعات وهي: (الهمجية أو الوحشية، البربرية والمتحضرة). وبناء على ذلك التحديد لتلك المجتمعات وفق تلك المعايير فان الرتب المنطقية لتلك المراحل تم اعتبارها تسلسلاً زمنياً تم اعتماده لتطوير العصور. وقد اثبت أثارياً تتابع العصور بشكل متسلسل في المكان الذي حدثت فيه. وقد تم تمييز تلك المراحل من خلال الطرق التي تم اعتمادها للحصول على الغذاء. ينظر:
- Childe, op. cit, p.3.